المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17 أيـار 2025
No.17 May 2025

التواجد الفارسي في بلاد الرافدين وأثره عبر التاريخ

حسين كاظم عذاب

المستخلص

شهدت بلاد الرافدين عبر التاريخ تأثيرات حضارية وسياسية متعددة بفعل التفاعلات مع القوى الإقليمية المختلفة، وكان للحضارة الفارسية دور محوري في تشكيل جزء كبير من ملامح المنطقة. فقد ارتبط الوجود الفارسي في العراق بفترات حكم طويلة امتدت منذ العصور القديمة، حيث شكلت الدول الفارسية، بدءًا من الدولة العيلامية وصولًا إلى الساسانية، جزءًا رئيسيًا من تاريخ بلاد الرافدين. كما لم يقتصر هذا التواجد على السيطرة السياسية، بل انعكس على البنية الإدارية والثقافية والاقتصادية للمنطقة، مما جعله موضوعًا جديرًا بالدراسة والتحليل. يبحث هذا البحث في تاريخ التواجد الفارسي في بلاد الرافدين، بدءًا من أولى محاولات السيطرة الفارسية في العصور القديمة مرورًا بالفترات المختلفة التي شهدت فيها المنطقة خضوعها لحكم الفرس، مثل فترة الأخمينيين والفرثيين والساسانيين. كما يتناول البحث طبيعة الإدارة الفارسية في العراق وتأثيرها على أنظمة الحكم المحلية، والعلاقة بين الفرس والسكان الأصليين في بلاد الرافدين، حيث كانت هذه العلاقات تتراوح بين الهيمنة العسكرية والتفاعل الثقافي والاجتماعي. علاوة على ذلك، يسلط البحث الضوء على التأثيرات الثقافية والفكرية التي أحدثها التواجد الفارسي في العراق، مثل انتشار اللغة الفارسية وتأثيراتها في المفردات العراقية، إضافة إلى التأثير الديني من خلال انتشار الزرادشتية والتفاعل الديني بين الفرس والسكان المحليين. كما يناقش البحث دور الفرس في تطور الفن والعمارة في العراق، حيث تأثرت أنماط البناء والهندسة المعمارية بشكل واضح بالفنون الفارسية، لا سيما في الفترات التي حكمت فيها الأسر الفارسية أجزاء من بلاد الرافدين. ولا يقتصر البحث على العصور القديمة فقط، بل يتتبع استمرارية النفوذ الفارسي في العراق بعد الفتح الإسلامي، متناولًا دور السلالات الفارسية في الدولة العباسية مثل البويهيين، وكذلك تأثيرات الحكم الصفوي على العراق في الفترات اللاحقة. كما يستعرض البحث التنافس العثماني-الصفوي في العراق، الذي شكل جزءًا هامًا من الصراعات الإقليمية في المنطقة، وانعكاس ذلك على المجتمع العراقي من الناحيتين السياسية والدينية. ختامًا، يسعى البحث إلى تقديم تحليل شامل للتواجد الفارسي في العراق وأثره المستمر عبر العصور، مع التركيز على الأبعاد السياسية والثقافية والدينية التي تركها هذا النفوذ في المنطقة. كما يحاول استكشاف مدى تأثير هذه المرحلة التاريخية على التكوين الحضاري للعراق الحديث، وما إذا كانت آثار النفوذ الفارسي ما زالت قائمة في بعض جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية حتى يومنا هذا.

كلمات مفتاحية : فارسي ، بلاد الرافدين

The Persian Presence in Mesopotamia and Its Impact Throughout History

Hussein Kazem Adhab

Abstract

Throughout history, Mesopotamia has witnessed multiple cultural and political influences due to interactions with various regional powers. Persian civilization has played a pivotal role in shaping a large part of the region's character. The Persian presence in Iraq has been linked to long periods of rule extending back to ancient times. Persian states, from the Elamite Empire to the Sassanids, formed a major part of Mesopotamia's history. This presence was not limited to political control; it was also reflected in the administrative, cultural, and economic structure of the region, making it a topic worthy of study and analysis. This research examines the history of the Persian presence in Mesopotamia, starting with the first attempts at Persian control in ancient times and continuing through the various periods during which the region was subject to Persian rule, such as the Achaemenid, Parthian, and Sassanid periods. The research also

examines the nature of Persian administration in Iraq and its impact on local governance systems, as well as the relationship between the Persians and the indigenous population of Mesopotamia, which ranged from military dominance to cultural and social interaction. Furthermore, the research sheds light on the cultural and intellectual influences brought about by the Persian presence in Iraq, such as the spread of the Persian language and its impact on Iraqi vocabulary, in addition to the religious influence through the spread of Zoroastrianism and the religious interaction between the Persians and the local population. The research also discusses the role of the Persians in the development of art and architecture in Iraq, as building styles and architecture were clearly influenced by Persian arts, particularly during the periods when Persian dynasties ruled parts of Mesopotamia. The research is not limited to ancient times, but rather traces the continuity of Persian influence in Iraq after the Islamic conquest, addressing the role of Persian dynasties in the Abbasid state, such as the Buyids, as well as the influence of Safavid rule on Iraq in subsequent periods. The research also reviews the Ottoman-Safavid rivalry in Iraq, which constituted a significant part of the regional conflicts in the region, and its impact on Iraqi society from both political and religious perspectives. In conclusion, this research seeks to provide a comprehensive analysis of the Persian presence in Iraq and its continuing influence throughout the ages, focusing on the political, cultural, and religious dimensions this influence left in the region. It also attempts to explore the extent to which this historical period influenced the civilizational formation of modern Iraq, and whether the effects of Persian influence persist in some aspects of social, cultural, and political life to this day.

Keywords: Persian, Mesopotamia

المدخل النظري والتاريخي

لطالما كانت بلاد الرافدين نقطة التقاء الحضارات والتأثيرات الخارجية، حيث تعاقبت عليها العديد من القوى العظمى عبر التاريخ، وكان للفرس دور بارز في هذا المشهد السياسي والجغرافي. لم يكن التواجد الفارسي في بلاد الرافدين مجرد احتلال عسكري عابر، بل امتد ليشمل تأثيرات إدارية، ثقافية، واقتصادية أثرت بعمق في البنية المجتمعية للمنطقة. لقد أسهمت الدول الفارسية المختلفة، بدءًا من الدولة العيلامية وصولًا إلى الدولة الساسانية، في تشكيل ملامح العراق القديم، مما يجعل دراسة هذا التواجد ضرورية لفهم التفاعلات الإقليمية التي شكلت تاريخ المنطقة.

يقتضي البحث في مفهوم "التواجد الفارسي" في بلاد الرافدين توضيح المصطلحات الأساسية المرتبطة به، مثل الهيمنة السياسية، النفوذ الثقافي، والاندماج المجتمعي. كما أن تحديد مدى هذا التواجد يتطلب استعراض المراحل التاريخية التي شهدت فيها بلاد الرافدين نفوذًا فارسيًا، سواء كان ذلك من خلال السيطرة المباشرة أو التأثير غير المباشر عبر العلاقات التجارية والثقافية. لهذا، يستعرض هذا الفصل التعريفات الأساسية المرتبطة بالتواجد الفارسي، إلى جانب تحليل الأبعاد الجغرافية والسياسية التي ساعدت على تعزيز هذا النفوذ في مختلف العصور.

ولتقديم دراسة أكاديمية متكاملة، من الضروري الاعتماد على مصادر متنوعة تشمل النصوص التاريخية القديمة، والسجلات الأثرية، والروايات العربية والفارسية التي تناولت النفوذ الفارسي في المنطقة. كما أن الكتابات الاستشراقية الحديثة توفر رؤى تحليلية تسلط الضوء على مدى تعقيد العلاقات الفارسية – الرافدينية. بناءً على ذلك، يهدف هذا الفصل إلى تأصيل المفاهيم المتعلقة بالتواجد الفارسي، وتحليل مراحله الجغرافية والسياسية، وتقديم لمحة عن أبرز المصادر التي تناولت هذا الموضوع، بما يساعد في بناء إطار نظري واضح للبحث.

مفهوم التواجد الفارسي: المصطلحات والتعريفات

يُشير مفهوم التواجد الفارسي في بلاد الرافدين إلى مختلف أشكال الحضور والتأثير الفارسي في المنطقة عبر العصور، سواء كان ذلك من خلال السيطرة السياسية المباشرة، أو التأثير الثقافي والديني، أو النفوذ الاقتصادي والتجاري. وقد ارتبط هذا التواجد بعدة دول وسلالات فارسية، أبرزها الدولة الأخمينية، والدولة الفرثية، والدولة الساسانية، إضافة إلى بعض السلالات الفارسية التي برزت في العصور الإسلامية، مثل البويهيين والصفويين. ولا يقتصر مفهوم التواجد الفارسي على الاحتلال العسكري أو الحكم المباشر، بل يشمل التأثير المستمر في اللغة، والفنون، والتقاليد الاجتماعية، وحتى الأنظمة الإدارية التي ظلت قائمة في العراق لعدة قرون.[1]

من الناحية الاصطلاحية، يمكن التمييز بين عدة مفاهيم قريبة من التواجد الفارسي، أبرزها النفوذ الفارسي، الذي يشير إلى مدى تأثير الفرس على القرارات السياسية والاقتصادية لبلاد الرافدين، حتى في الفترات التي لم يكن لهم فيها سيطرة مباشرة. كذلك يُستخدم مصطلح الهيمنة الفارسية للدلالة على فترات الحكم الفعلي التي فرضتها الإمبراطوريات الفارسية المختلفة على العراق، حيث أصبح جزءًا من أراضيها إما كمقاطعة خاضعة للحكم المركزي أو كموقع استراتيجي متنازع عليه. أما التفاعل الحضاري الفارسي-الرافديني، فيُشير إلى عمليات التأثير والتأثر المتبادلة بين الفرس وسكان بلاد الرافدين، والتي انعكست في الممارسات الدينية، والأساليب المعمارية، والنظم الإدارية.[2]

لذلك، فإن دراسة مفهوم التواجد الفارسي في بلاد الرافدين تتطلب نظرة شمولية تأخذ في الاعتبار مختلف أبعاده السياسية، والثقافية، والاجتماعية، وتفريقه عن المفاهيم الأخرى المرتبطة به. فهذا التواجد لم يكن مجرد احتلال عسكري زائل، بل كان امتدادًا حضاريًا أثّر في العراق عبر العصور، مما يجعل البحث في أصوله وتجلياته ضرورة لفهم مسار العلاقات الفارسية – العراقية عبر التاريخ.

بلاد الرافدين عبر العصور الفارسية: لمحة جغرافية وسياسية

لطالما شكّلت بلاد الرافدين موقعًا استراتيجيًا بالغ الأهمية في المنطقة، نظرًا لموقعها الجغرافي الحيوي الذي يربط بين الشرق والغرب، وخصوبة أراضيها التي جعلتها مركزًا زراعيًا وتجاريًا مهمًا. لهذا السبب، كانت المنطقة محط أنظار القوى العظمى عبر العصور، بما في ذلك الإمبراطوريات الفارسية التي سعت إلى السيطرة عليها والاستفادة من مواردها. وقد مرّ التواجد الفارسي في بلاد الرافدين بعدة مراحل، بدأ مع النفوذ الأولي للدولة العيلامية، مرورًا بالحكم المباشر للإمبراطورية الأخمينية، ثم الفترة التي أصبحت فيها المنطقة تحت سلطة الدول الفرثية والساسانية، وصولًا إلى النفوذ الفارسي في الفترات الإسلامية، حيث كان للبويهيين والصفويين دور بارز في إدارة شؤون العراق.

أول مراحل النفوذ الفارسي: الأخمينيون (550 – 330 ق.م)

كان أول حكم فارسي مباشر على بلاد الرافدين خلال العهد الأخميني، عندما قام كورش الكبير بضم المنطقة إلى إمبراطوريته بعد هزيمته للبابليين عام 539 ق.م. اعتُبر هذا الحدث نقطة تحول كبيرة، حيث

[1] - البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983. ص 134-137.
[2] - علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين، 1976. ص 204-210.

دمج الفرس بلاد الرافدين ضمن ولاياتهم الإدارية، مع الإبقاء على كثير من النظم البابلية لضمان الاستقرار. واستمرت هذه السيطرة حتى سقوط الإمبراطورية الأخمينية على يد الإسكندر المقدوني في 330 ق.م، والذي أنهى الحكم الفارسي المباشر، لكنه لم يوقف التأثير الفارسي الثقافي في المنطقة.

الفرثيون والساسانيون: عودة النفوذ الفارسي (247 ق.م – 651 م)

بعد حقبة الحكم اليوناني-السِلوقي، استعادت الدولة الفرثية سيطرتها على بلاد الرافدين في القرن الثالث قبل الميلاد، وجعلتها ساحة صراع مع الرومان. ورغم أن الفرثيين لم يفرضوا سيطرة مباشرة على كل العراق، إلا أنهم كانوا القوة المهيمنة في المنطقة لعدة قرون. وفي عام 226 م، أطاح الأردشير الأول بالفرثيين وأسس الدولة الساسانية، التي فرضت سيطرتها الكاملة على العراق، واعتبرت المدائن عاصمتها الغربية. خلال الحكم الساساني، أصبحت بلاد الرافدين مركزًا إداريًا وعسكريًا مهمًا للإمبراطورية، لكنها ظلت عرضة للنزاعات المستمرة مع البيزنطيين حتى الفتح الإسلامي عام 651 م.[1]

الفترة الإسلامية: استمرار التأثير الفارسي

مع الفتح الإسلامي، انتهى الحكم الفارسي المباشر في بلاد الرافدين، لكن النفوذ الفارسي استمر من خلال الدولة البويهية (932 – 1055 م)، التي حكمت العراق فعليًا تحت غطاء الخلافة العباسية، حيث لعب الفرس دورًا أساسيًا في الإدارة والسياسة. لاحقًا، برزت الدولة الصفوية في العصر الحديث، والتي سعت إلى بسط نفوذها في العراق، خاصة خلال صراعاتها مع الدولة العثمانية.

مصادر دراسة التواجد الفارسي في بلاد الرافدين

يتطلب البحث في التواجد الفارسي في بلاد الرافدين الاستناد إلى مصادر تاريخية متنوعة تتيح تقديم صورة متكاملة عن النفوذ الفارسي عبر العصور. يمكن تصنيف هذه المصادر إلى أربع فئات رئيسية: المصادر التاريخية القديمة، المصادر الإسلامية والعربية، المصادر الأثرية، والمصادر الحديثة والاستشراقية.

1. المصادر التاريخية القديمة

تشكل النصوص القديمة التي تعود إلى العصور الأخمينية، الفرثية، والساسانية، أبرز المصادر الأولية لدراسة الحكم الفارسي في بلاد الرافدين. ومن بين هذه المصادر:

- النقوش الملكية الفارسية، مثل نقوش داريوس الأول في نقش بيستون، التي توضح الحملات الفارسية على بابل والعراق.
- المصادر البابلية والآشورية، مثل الألواح المسمارية التي توثق العلاقات الفارسية ببلاد الرافدين.
- الكتابات الإغريقية والرومانية، مثل كتابات هيرودوت وزينوفون، اللذين سجلا وصفًا دقيقًا لحملات الفرس على العراق والتفاعلات السياسية في المنطقة.

2. المصادر الإسلامية والعربية

مع دخول الإسلام، استمر التأريخ لحكم الفرس في العراق من خلال كتابات المؤرخين العرب والمسلمين، الذين تناولوا النفوذ الفارسي قبل الإسلام وبعده. ومن أهم هذه المصادر:

- كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للطبري، الذي يعد من أبرز المصادر في توثيق التاريخ الفارسي في العراق، خاصة خلال الفترتين الأخمينية والساسانية.
- "البداية والنهاية" لابن كثير، الذي يعرض تسلسل الفترات التاريخية الفارسية وتأثيرها على العراق.

[1] - غوستاف، ليون. تاريخ الفنون الزخرفية في الشرق الإسلامي. ترجمة قاسم عبده قاسم. القاهرة: دار الفكر، 2005، ص 89-92.

- "مروج الذهب" للمسعودي، الذي يتناول الجوانب الثقافية والحضارية للحكم الفارسي في بلاد الرافدين.

3. المصادر الأثرية

تعد الاكتشافات الأثرية عنصرًا أساسيًا في دراسة التواجد الفارسي في العراق، حيث تساهم في فهم التنظيم الإداري، والأنظمة العسكرية، والعلاقات التجارية بين الفرس وبلاد الرافدين. ومن بين هذه الأدلة الأثرية:

- الآثار الساسانية في العراق، مثل طيسفون (المدائن)، التي كانت عاصمة الإمبراطورية الساسانية.
- النقوش البابلية والفارسية التي وجدت في مواقع أثرية مثل أور وبابل وتظهر التأثير الإداري الفارسي.
- العملات الفارسية المكتشفة في العراق، والتي توضح العلاقات الاقتصادية بين الفرس وسكان بلاد الرافدين.

4. المصادر الحديثة والاستشراقية

تُشكل الدراسات الحديثة والاستشراقية مصدرًا هامًا في تحليل وتفسير التواجد الفارسي في بلاد الرافدين. حيث اعتمد الباحثون الغربيون والمستشرقون على المصادر الأولية مع التحليل الأكاديمي الحديث. ومن أهم الدراسات:

- كتاب "الإمبراطورية الفارسية في العراق" للمؤرخ ريتشارد فراي، الذي يدرس تفاصيل الإدارة الفارسية في العراق وتأثيرها الاجتماعي.
- أبحاث المستشرق الألماني تيوفيل نولدكه حول الفترات الساسانية في العراق.
- دراسات حديثة حول العلاقة بين الفرس وبلاد الرافدين، مثل أعمال پيير بريانت وماريا بروسيك التي تعتمد على الأدلة الأثرية والتحليل التاريخي للنصوص القديمة.[1]

التواجد الفارسي في العصور القديمة

مثّلت بلاد الرافدين منذ أقدم العصور مركزًا حضاريًا استراتيجيًا تنافست عليه العديد من القوى الإقليمية، وكان الفرس من أبرز هذه القوى التي سعت إلى بسط نفوذها على المنطقة عبر العصور المختلفة. فقد شهدت بلاد الرافدين تواجدًا فارسيًا متواصلًا، بدأ منذ العصور المبكرة مع الدولة العيلامية، ثم بلغ ذروته في العهدين الأخميني والساساني. هذا التواجد لم يكن مجرد احتلال عسكري، بل امتد ليشمل تأثيرات إدارية وثقافية ودينية تركت بصماتها على المجتمع الرافديني. وبذلك، فإن دراسة الفترات التي خضعت فيها بلاد الرافدين للحكم الفارسي تتيح فهم طبيعة العلاقة بين الطرفين وكيفية تأثر العراق بنظم الحكم والإدارة الفارسية.

يمكن تتبع بداية التأثير الفارسي في بلاد الرافدين من خلال الدولة العيلامية، التي تُعد من أقدم الكيانات الفارسية التي مارست نفوذها على أجزاء من العراق، لا سيما في المناطق الجنوبية. تلاها الحكم الأخميني بقيادة كورش الكبير، الذي نجح في ضم بابل إلى إمبراطوريته عام 539 ق.م، مُرسخًا بذلك بداية مرحلة جديدة من السيطرة الفارسية المباشرة على العراق. استمر هذا النفوذ خلال عهد داريوس الأول، حيث تم دمج العراق ضمن النظام الإداري الفارسي، مما ساهم في تعزيز المركزية السياسية ونشر التأثيرات الثقافية والاقتصادية القادمة من فارس.[2]

وفيما بعد، أعادت الدولة الفرثية فرض هيمنتها على العراق بعد سقوط الإمبراطورية السلوقية، حيث تميز حكمها بنوع من الاستقلال الذاتي للحكام المحليين مع استمرار التفاعل الثقافي بين الفرس وسكان بلاد الرافدين. غير أن الحكم الفارسي بلغ أوج تأثيره خلال العهد الساساني، الذي بدأ في القرن الثالث

[1] - القلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1913.
[2] - الأعظمي، علي ظريف. تاريخ الدول الفارسية في العراق. القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2012.

الميلادي، حيث أصبح العراق أحد أهم المراكز الإدارية والسياسية للإمبراطورية. وقد عزز الساسانيون نفوذهم عبر دعم الديانة الزرادشتية وإدخال إصلاحات إدارية واقتصادية عميقة، مما جعل أثرهم ممتدًا حتى بعد الفتح الإسلامي. ومن خلال دراسة هذه الفترات التاريخية، يمكن فهم كيف ساهم التواجد الفارسي في تشكيل ملامح العراق قبل الإسلام على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.

السيطرة الفارسية على بلاد الرافدين قبل الإسلام

شكّلت بلاد الرافدين، بفضل موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية، نقطة صراع مستمر بين القوى الإقليمية، وكان للفرس دور بارز في هذا التنافس عبر مختلف العصور. منذ العصور المبكرة، سعت الإمبراطوريات الفارسية إلى السيطرة على العراق، نظرًا لأهميته الاستراتيجية كجسر بين فارس وبلاد الشام والجزيرة العربية. ويمكن تقسيم السيطرة الفارسية على بلاد الرافدين إلى مراحل تاريخية أساسية، بدءًا من نفوذ الدولة العيلامية المبكر، مرورًا بالحكم الأخميني الذي مثّل أول احتلال فارسي منظم للعراق، ثم حكم الفرثيين الذين رسّخوا سلطتهم بعد سقوط الإمبراطورية السلوقية، وأخيرًا الإمبراطورية الساسانية التي جعلت العراق مركزًا أساسيًا لحكمها.[1]

الدولة العيلامية

1- مقدمة: العيلاميون في سياق تاريخ بلاد الرافدين

تُعد الدولة العيلامية من أقدم الكيانات السياسية الفارسية التي نشأت في منطقة عيلام (تقع في جنوب غرب إيران الحالية)، والتي لعبت دورًا محوريًا في تاريخ بلاد الرافدين. نشأت هذه الدولة في أواخر الألفية الثالثة قبل الميلاد، وكانت على تماس مباشر مع الحضارات الكبرى في العراق القديم، مثل السومريين والأكديين والبابليين. رغم أن العيلاميين لم يتمكنوا من فرض سيطرة دائمة على العراق، إلا أن تفاعلاتهم العسكرية والتجارية مع بلاد الرافدين تركت أثرًا واضحًا في التطورات السياسية والثقافية للمنطقة.

2- أصول الدولة العيلامية ونشأتها

ظهر العيلاميون في منطقة شوشان (سوسة)، التي أصبحت لاحقًا عاصمتهم، وشكّلوا مجتمعًا متأثرًا بالحضارات المجاورة، خاصة السومرية. اعتمد نظام حكمهم على مزيج من الحكم المركزي والحكم الإقطاعي، حيث كان لديهم ملك مركزي (يُعرف باسم "سوكال") يحكم بالتعاون مع أمراء محليين. امتدت حدود دولتهم في بعض الفترات إلى شرق دجلة، مما جعلهم على تماس مباشر مع ممالك بلاد الرافدين.[2]

3- العلاقات بين العيلاميين وبلاد الرافدين

شهدت العلاقة بين العيلاميين وحضارات العراق القديم فترات من التعاون والتنافس. فقد دخل العيلاميون في صراعات متكررة مع السومريين والأكديين، حيث كانوا يسعون إلى توسيع نفوذهم نحو العراق للاستفادة من موارده الاقتصادية. كما شهد التاريخ تحالفات تجارية وثقافية بين الطرفين، حيث تأثرت الكتابة العيلامية بالمسمارية السومرية، ودخلت بعض المفاهيم الإدارية من العراق إلى النظام السياسي العيلامي.

4- الصراعات مع الأكديين والبابليين

- في عهد سرجون الأكدي (2334–2279 ق.م)، خاض العيلاميون صراعًا عنيفًا ضد الأكديين، لكنهم خضعوا لسيطرة الإمبراطورية الأكدية لفترة قصيرة.
- خلال حكم نرام سين الأكدي، حاول العيلاميون التمرد، لكنهم تعرضوا لحملات عسكرية قاسية أدت

[1] - الهمداني، الحسن بن أحمد. الإكليل. تحقيق نبيه أمين فارس. بيروت: دار الثقافة، 1987.
[2] - كاميرون، جورج غلين. تاريخ إيران القديم. ترجمة: سبيروا سافوستيانوف. موسكو: دار التقدم، 1972.

إلى تراجع نفوذهم.

- في عهد الدولة البابلية القديمة، بقيادة حمورابي (1792–1750 ق.م)، تمكن البابليون من توجيه ضربات قوية للعيلاميين، مما أضعف دولتهم لقرون لاحقة.

5- سقوط الدولة العيلامية وتأثيرها اللاحق

مع حلول القرن السابع قبل الميلاد، تعرضت عيلام لحملات عسكرية مدمرة قادها الآشوريون، خصوصًا في عهد الملك الآشوري آشور بانيبال (668–627 ق.م)، الذي اجتاح شوشان ودمر العاصمة العيلامية. ومع هذا السقوط، انتهى دور العيلاميين كقوة سياسية مستقلة، وأصبح نفوذهم في العراق محصورًا في التأثيرات الثقافية واللغوية التي انتقلت إلى الإمبراطوريات الفارسية اللاحقة، مثل الأخمينيين الذين ورثوا الكثير من الممارسات الإدارية عنهم.[1]

الدولة الأخمينية (كورش الكبير وداريوس الأول)

مثّلت الدولة الأخمينية (550–330 ق.م) أول إمبراطورية فارسية كبرى امتد نفوذها إلى بلاد الرافدين، حيث قام مؤسّسها كورش الكبير بإسقاط الدولة البابلية الحديثة عام 539 ق.م، مما أدى إلى ضم العراق إلى الإمبراطورية الفارسية. تميزت هذه المرحلة بحكم مركزي منظم، وسياسة إدارية واقتصادية متطورة، استمرت خلال عهد داريوس الأول، الذي عزز السيطرة الفارسية على العراق، مما جعله مركزًا إداريًا وتجاريًا مهمًا ضمن الإمبراطورية الأخمينية.

كورش الكبير (559–530 ق.م): ضم بلاد الرافدين وبداية النفوذ الفارسي

يُعد كورش الكبير من أعظم القادة الفارسيين، حيث أسس الإمبراطورية الأخمينية وأحدث نقلة نوعية في الحكم والسياسة. كانت خطوته الأبرز في بلاد الرافدين هي غزو بابل عام 539 ق.م، عندما نجح في إسقاط الملك نبونيد دون مقاومة تُذكر، مستفيدًا من استياء الكهنة والشعب من سياسات الأخير.

بعد دخول بابل، تبنّى كورش سياسة تسامح ديني وثقافي، حيث أصدر ما يُعرف بـأسطوانة كورش، التي أعلنت احترام تقاليد بابل وإعادة اليهود إلى القدس بعد فترة السبي البابلي، مما عزز شرعيته كحاكم عادل. حافظ كورش على النظام الإداري البابلي، ودمج العراق في الإمبراطورية كجزء مهم من الهيكل الإداري الأخميني، مما سمح بانتقال سلس للحكم الفارسي دون اضطرابات كبيرة.[2]

داريوس الأول (522–486 ق.م): تعزيز السيطرة والتنظيم الإداري

بعد وفاة كورش، تعاقب عدد من الملوك، لكن السيطرة الفعلية على بلاد الرافدين تعززت في عهد داريوس الأول، الذي يعتبر أحد أعظم حكام الإمبراطورية الأخمينية. قام داريوس بإدخال إصلاحات إدارية وتنظيمية كبرى في العراق، من أبرزها:

التقسيم الإداري: جعل العراق جزءًا من ولاية "بابل"، والتي كانت واحدة من الساترابيات (الأقاليم) الأساسية في الإمبراطورية. تم تعيين ساتراب (حاكم إقليمي) لإدارة المنطقة، خاضعًا مباشرة للملك الفارسي.

النظام الضريبي: فرض داريوس نظامًا ضرائبيًا صارمًا، حيث أصبحت بلاد الرافدين مركزًا اقتصاديًا مهمًا، نظرًا لخصوبة أراضيها الزراعية وموقعها التجاري الحيوي.

تطوير الطرق والبنية التحتية: قام داريوس بتوسيع شبكة الطرق، وربط العراق بطريق الملوك الملكي الذي يمتد من سوسة إلى ساردیس، مما سهل الحركة التجارية والعسكرية عبر الإمبراطورية.

اعتماد العملة الفارسية: أدخل الدراخما والدارك الفارسي كوسائل للتبادل التجاري، مما ساهم في دمج

---

[1] - حبيب، باسم محمد. "حضارة عيلام: هل هي حضارة مستقلة أم فرع من حضارة بلاد الرافدين؟" مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، العدد 12 (2019): 45-67.

[2] - إبراهيم، صبا علي. "الحضارة العيلامية وعلاقتها بحضارات وادي الرافدين." رسالة ماجستير، جامعة القادسية، 2015. ص 178-182.

اقتصاد بلاد الرافدين في النظام الفارسي.

التأثير الثقافي والديني للحكم الأخميني

سمح الفرس للبابليين بممارسة عباداتهم التقليدية، ولم يفرضوا الزرادشتية كديانة رسمية، مما ساهم في استقرار الحكم.

تأثرت العمارة والفنون البابلية بالتقاليد الفارسية، حيث ظهر اندماج بين الطراز البابلي والأخميني في بعض المباني.

تم الحفاظ على الخط المسماري في الوثائق الإدارية، مما يعكس مرونة الفرس في استيعاب الثقافات المحلية.

نهاية الحكم الأخميني في بلاد الرافدين

استمر الحكم الفارسي الأخميني في العراق حتى 330 ق.م، عندما غزا الإسكندر الأكبر المنطقة وهزم الملك الأخميني الأخير داريوس الثالث في معركة غوغميلا (331 ق.م). مثّل هذا الغزو نهاية النفوذ الفارسي الأخميني، لكن تأثيرهم الإداري والثقافي استمر حتى عودة الفرس لاحقًا في العهد الفرثي والساساني.

الدولة الفرثية والساسانية وتأثيرها في العراق

شهدت بلاد الرافدين فترتين مهمتين من السيطرة الفارسية بعد سقوط الدولة الأخمينية، وهما العهد الفرثي (247 ق.م - 224 م) والعهد الساساني (224 - 651 م). امتدت سيطرة الفرثيين والساسانيين على العراق لعدة قرون، وكان تأثيرهم واضحًا في المجالات السياسية والإدارية والعسكرية، بالإضافة إلى التأثيرات الثقافية والاجتماعية. شكل العراق ساحة صراع مستمر بين الفرس والرومان، خاصة خلال العهد الساساني، مما جعل المنطقة واحدة من أهم مراكز النفوذ الفارسي في العالم القديم.[1]

أولًا: الدولة الفرثية (الأرشكانية) وتأثيرها في العراق (247 ق.م - 224 م)

1- نشأة الفرثيين وسيطرتهم على العراق

ظهر الفرثيون، الذين يُعرفون أيضًا بالأرشكانيين، في منطقة خراسان الحالية، وتمكنوا من الاستيلاء على العراق بعد انهيار الدولة السلوقية التي خلفت الإسكندر المقدوني. كانت معركة حرّان عام 53 ق.م نقطة تحول رئيسية في الصراع بين الفرس والرومان، حيث تمكن الفرثيون من هزيمة الجيش الروماني بقيادة كراسوس، ما عزز سيطرتهم على بلاد الرافدين.

2- نظام الحكم الفرثي في العراق

اعتمد الفرثيون أسلوب حكم لامركزي، حيث منحوا الاستقلال للحكام المحليين، مثل ملوك الحيرة الذين كانوا يحكمون تحت مظلة النفوذ الفرثي. تميزت هذه الفترة بسيادة الطبقة الأرستقراطية، حيث كان الحكام الفرثيون يسيطرون على القبائل المحلية دون فرض سيطرة مباشرة صارمة.

3- التأثيرات العسكرية والسياسية

كان العراق خلال هذه الفترة ساحة صراع بين الفرس والرومان، مما أدى إلى عدم استقرار مستمر.

اعتمد الفرثيون على سلاح الفرسان المدرع (الكتافراكت)، الذي كان فعالًا في مواجهة الجيوش الرومانية.

لم يهتم الفرثيون كثيرًا بتنمية العراق اقتصاديًا، بل ركزوا على استخدامه كقاعدة عسكرية أمامية في حروبهم مع الرومان.

4- نهاية الحكم الفرثي في العراق

[1] - الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف، 1967. ص 93-98.

مع ضعف الدولة الفرثية نتيجة النزاعات الداخلية وصعود الساسانيين بقيادة أردشير الأول، انتهى الحكم الفرثي في العراق عام 224 م، عندما هُزم الملك الفرثي أردوان الخامس على يد أردشير الأول، مؤسس الدولة الساسانية.[1]

ثانيًا: الدولة الساسانية وتأثيرها في العراق (224 - 651 م)

1- العراق كمركز للإمبراطورية الساسانية

خلافًا للفرثيين، جعل الساسانيون من العراق قلب إمبراطوريتهم، حيث أسسوا المدائن (طيسفون) كعاصمة رئيسية لهم. تميّزت هذه الفترة بحكم مركزي قوي وإصلاحات إدارية واقتصادية شاملة.

2- نظام الحكم والإدارة الساساني

- قسّم الساسانيون العراق إلى ولايات إدارية محكمة، وأداروا البلاد عبر نظام بيروقراطي متطور.
- فرضوا نظام ضرائب صارم، مما أدى إلى تطوير البنية التحتية للدولة، لكنه شكل عبئًا على الفلاحين.
- اهتموا بتعزيز الزراعة، ووسعوا شبكات الري، مما جعل العراق أكثر إنتاجية اقتصاديًا.

3- التأثيرات الدينية والثقافية

- نشر الساسانيون الديانة الزرادشتية وجعلوها الدين الرسمي للدولة.
- تأثرت العمارة والفنون العراقية بالطراز الساساني، كما هو واضح في قصور المدائن.
- لعبت اللغة الفارسية دورًا مهمًا في الإدارة والثقافة، رغم استمرار استخدام الآرامية والمسمارية.

4- الصراع مع الإمبراطورية البيزنطية وتأثيره على العراق

- كانت بلاد الرافدين ساحةً للحروب بين الساسانيين والرومان البيزنطيين، مما أضعف الاقتصاد وزاد من معاناة السكان.
- من أشهر الحروب الساسانية حملة كسرى الثاني (604-628 م) ضد بيزنطة، حيث اجتاح العراق وسوريا وصولًا إلى مصر.

5- نهاية الحكم الساساني في العراق

عندما ظهر الإسلام، واجه الساسانيون ضعفًا داخليًا بسبب الضرائب الثقيلة والاضطرابات السياسية. تمكن المسلمون بقيادة خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص من هزيمتهم في معركة القادسية (636 م)، ثم فتح المدائن عام 637 م، مما أنهى الحكم الساساني في العراق وأدخل المنطقة تحت حكم الخلافة الإسلامية.

1التأثيرات السياسية والإدارية

لم يكن التواجد الفارسي في بلاد الرافدين مجرد هيمنة سياسية أو عسكرية، بل كان له تأثير عميق في مختلف جوانب الحياة الثقافية والدينية. فقد أدت الفترات المختلفة من الحكم الفارسي، سواء في العصور القديمة أو خلال فترات السيطرة الفارسية المتقطعة بعد الإسلام، إلى إدخال عناصر ثقافية وفكرية أثرت في هوية المنطقة. ومن بين أبرز هذه التأثيرات، نجد انتشار العقائد الفارسية، لا سيما الزرادشتية، التي لعبت دورًا بارزًا في البنية الدينية لبلاد الرافدين قبل الفتح الإسلامي. كما انعكس التأثير الفارسي في أنماط اللغة والفنون والعمارة، مما ساهم في تشكيل البعد الحضاري للعراق على مدى العصور.[2]

شكلت الزرادشتية واحدة من أقدم الديانات المنظمة في التاريخ، وقد كان لها انتشار واضح في بلاد الرافدين خلال الفترات الأخمينية والساسانية. ارتبطت هذه العقيدة بثنائية النور والظلام، والخير والشر، وهي المفاهيم التي أثرت لاحقًا في الأديان الإبراهيمية. ومع أن الإسلام لاحقًا حل محل الديانات السابقة، إلا أن بعض المعتقدات والتقاليد المستمدة من الزرادشتية استمرت في المجتمعات العراقية بطرق مختلفة،

[1] - البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983. ص 112-115.
[2] - الهمداني، الحسن بن أحمد. الإكليل. تحقيق نبيه أمين فارس. بيروت: دار الثقافة، 1987. ص 65-69.

سواء عبر التقاليد الدينية أو الثقافية المتوارثة. بالإضافة إلى ذلك، كانت اللغة الفارسية، بمراحلها المختلفة، وسيلةً للتواصل والنخبة الحاكمة، وامتزجت مع اللغة العربية لتترك أثرًا لغويًا لا يزال واضحًا حتى اليوم في المفردات والمصطلحات العراقية.

إلى جانب التأثيرات اللغوية والدينية، تركت الفنون والهندسة الفارسية بصمتها على المشهد العمراني والحضاري في بلاد الرافدين. فقد ظهرت أساليب معمارية فارسية في بناء القصور، والمعابد، والحدائق ذات الطابع الهندسي الدقيق، كما انتقلت بعض العناصر الزخرفية والفنية إلى العمارة الإسلامية لاحقًا. ومن خلال دراسة هذه التأثيرات، يمكن فهم عمق التفاعل الثقافي بين الفرس وبلاد الرافدين، ومدى استمرار هذا التأثير في تشكيل الهوية العراقية عبر العصور.

أنظمة الحكم الفارسية في بلاد الرافدين

شهدت بلاد الرافدين عبر تاريخها الطويل العديد من أشكال الحكم الفارسية، حيث تعاقبت عليها عدة دول وإمبراطوريات فارسية، بدءًا من الدولة الأخمينية وصولًا إلى الدولة الساسانية، ومن ثم النفوذ الفارسي في العصور الإسلامية عبر الدولة البويهية والصفوية. وقد تميزت هذه الأنظمة بتنوع أساليب الحكم والإدارة، حيث سعت كل منها إلى ترسيخ سلطتها بطرق مختلفة، تتراوح بين الإدارة المركزية الصارمة، واللامركزية القائمة على توظيف حكام محليين.

1. الحكم الأخميني (539 ق.م – 331 ق.م)

بعد سقوط بابل عام 539 ق.م على يد كورش الكبير، أصبحت بلاد الرافدين إحدى المقاطعات الكبرى في الإمبراطورية الأخمينية. اعتمد الأخمينيون نظامًا إداريًا متطورًا قائمًا على الساترابات (الولايات)، حيث قُسمت الأراضي إلى ولايات يديرها حكام محليون يُعرفون بـ الساتراب، وكانوا مسؤولين عن جباية الضرائب، وتنفيذ القوانين، وضمان الولاء للملك الفارسي. كما اعتمدوا نظام بريد سريع عبر شبكة طرق متطورة، ما سهل الاتصال بين بلاد الرافدين والعاصمة الفارسية برسيبوليس.[1]

2. الحكم الفرثي (247 ق.م – 224 م)

تميزت فترة الحكم الفرثي بقدر من اللامركزية، حيث مُنح حكام المناطق قدرًا من الاستقلال الذاتي مقابل الولاء للملك الفرثي. وبسبب الطبيعة القتالية لهذه الدولة، اعتمدت على حكام عسكريين محليين للحفاظ على الأمن وإدارة الشؤون الإقليمية، ما سمح باستمرار التأثيرات الثقافية البابلية والسريانية في العراق، إلى جانب التأثير الفارسي.

3. الحكم الساساني (224 م – 651 م)

استعادت الدولة الساسانية السيطرة المركزية على بلاد الرافدين، وأعادت فرض نظام الحكم القوي الذي كان معتمدًا في عهد الأخمينيين. كانت البلاد تُدار من قبل حكام عسكريين ومدنيين يخضعون مباشرة لسلطة الملك الساساني، وكانت مدينة المدائن (طيسفون) مقرًا للحكم الفارسي في العراق. كما عزز الساسانيون نفوذ الزرادشتية كدين رسمي، وأسسوا نظامًا إداريًا صارمًا يفرض ضرائب منتظمة، ويعتمد على طبقة بيروقراطية قوية.

4. النفوذ الفارسي في العصور الإسلامية (البويهيون والصفويون)

بعد الفتح الإسلامي، تراجع الحكم الفارسي المباشر، لكنه عاد في شكل نفوذ سياسي عبر الدولة البويهية (945 – 1055 م)، التي سيطرت على بغداد تحت اسم الخلافة العباسية، لكنها حكمت فعليًا كسلطة فارسية مستقلة ذات نظام إداري فارسي قائم على الوزراء والدواوين. أما في العصر الصفوي، فقد مارس الفرس تأثيرًا سياسيًا وعسكريًا في العراق، خاصة خلال الصراع العثماني-الصفوي، حيث اعتمد

[1] - علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين، 1976. ص 220-225.

الصفويون على حكام محليين موالين ونظام إقطاعي فارسي لضمان السيطرة على المناطق العراقية.

العلاقة بين الفرس والقبائل المحلية

كانت العلاقة بين الفرس والقبائل المحلية في بلاد الرافدين علاقة متشابكة ومتغيرة، تراوحت بين التحالف، والتعاون الإداري، والمقاومة. ومع تعاقب الدول الفارسية، خاصة الأخمينية، والفرثية، والساسانية، اختلفت استراتيجيات التعامل مع القبائل المحلية تبعًا للظروف السياسية والاقتصادية لكل عصر. فبينما اعتمد الفرس في بعض الفترات على دمج زعماء القبائل في الإدارة، لجأوا في أوقات أخرى إلى فرض الهيمنة العسكرية المباشرة للحفاظ على نفوذهم.

1. العلاقة خلال الحكم الأخميني (539 ق.م - 331 ق.م)

عندما دخل الأخمينيون بلاد الرافدين بقيادة كورش الكبير، واجهوا مجتمعات قبلية متعددة، أبرزها القبائل الآرامية والكردية وبعض القبائل العربية المتواجدة على أطراف العراق. حاول الفرس دمج زعماء هذه القبائل في إدارة الأقاليم، حيث قاموا بتعيينهم كحكام محليين (ساترابات) تحت إشراف مباشر من الدولة الأخمينية. كما منحوا بعض القبائل امتيازات اقتصادية مقابل الحفاظ على الأمن وضمان تدفق الضرائب والموارد إلى العاصمة الفارسية.[1]

2. العلاقة خلال الحكم الفرثي (247 ق.م - 224 م)

تميزت الدولة الفرثية بطابعها العسكري وشبه الإقطاعي، حيث اعتمدت بشكل كبير على القبائل المحلية في العراق لحماية الحدود وضمان الاستقرار السياسي. وعليه، حافظت بعض القبائل العراقية على قدر من الاستقلال الذاتي، لكنها كانت تدين بالولاء للحكام الفرثيين. كما تم منح بعض زعماء العشائر مناصب عسكرية مقابل المشاركة في الدفاع عن الإمبراطورية ضد الرومان، الذين شكلوا تهديدًا دائمًا لبلاد الرافدين في تلك الحقبة.

3. العلاقة خلال الحكم الساساني (224 م - 651 م)

مع سيطرة الساسانيين على بلاد الرافدين، اتبعت الدولة نهجًا أكثر مركزية في التعامل مع القبائل. وقد شدد الساسانيون قبضتهم على زعماء العشائر من خلال فرض ضرائب صارمة، ونشر الحكام الفرس في مختلف المدن والمناطق الريفية. كما حاولوا فرض الزرادشتية كديانة رسمية، مما أدى إلى توترات مع بعض القبائل التي كانت تدين بالمعتقدات المحلية القديمة أو المسيحية. ومع ذلك، استمر بعض زعماء القبائل في الاحتفاظ بنفوذهم ضمن إطار النظام الإداري الساساني، حيث تم توظيف بعضهم كحكام محليين أو قادة عسكريين.

4. القبائل العربية والفرس قبل الفتح الإسلامي

كانت القبائل العربية التي استقرت في العراق، مثل بني لخم وبني تغلب، على علاقة متقلبة مع الفرس، حيث استخدمهم الساسانيون كقوات حدودية لمواجهة الأخطار القادمة من الجزيرة العربية. وكان ملوك المناذرة في الحيرة، رغم ولائهم للدولة الفارسية، يتمتعون بحكم شبه مستقل، حيث وفروا الحماية للحدود الساسانية ضد القبائل العربية الأخرى مثل الغساسنة الموالين للروم. ومع ذلك، لم تكن العلاقة مستقرة دائمًا، إذ اندلعت حروب بين الفرس والمناذرة، خاصة في أواخر العهد الساساني.[2]

5. التغيرات بعد الفتح الإسلامي

بعد الفتح الإسلامي لبلاد الرافدين، تغيرت العلاقة بين الفرس والقبائل المحلية جذريًا. حيث تراجع النفوذ السياسي للفرس، لكنهم استمروا في التأثير الثقافي والإداري من خلال العمل في المؤسسات الإسلامية

---

[1] - علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت: دار العلم للملايين، 1976. الجزء 3، الصفحات 180-185.

[2] - الصلابي، علي محمد. الدولة العباسية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2004. الصفحات 320-325.

الجديدة، بينما انضمت القبائل المحلية إلى الفتوحات الإسلامية. وبمرور الوقت، أصبح العراق ساحة امتزاج بين العناصر الفارسية والعربية، وهو ما انعكس في المجتمع العراقي عبر مختلف العصور.

الإدارة الفارسية وتأثيرها على العراق

لعبت الأنظمة الإدارية الفارسية دورًا محوريًا في تنظيم شؤون بلاد الرافدين، حيث تبنت الإمبراطوريات الفارسية المختلفة—بدءًا من الأخمينيين وصولًا إلى الساسانيين—أساليب إدارية متطورة لضمان السيطرة على العراق، الذي كان يُعد من أهم الأقاليم الاستراتيجية في العالم القديم. وقد انعكست هذه النظم الإدارية ليس فقط في البيروقراطية، بل أيضًا في الهياكل القانونية، والتنظيم الاقتصادي، ونظم الضرائب، وهي تأثيرات استمرت في العراق حتى بعد الفتح الإسلامي.

1. الإدارة الفارسية في العهد الأخميني (539 ق.م - 331 ق.م)

بعد دخول كورش الكبير إلى بابل عام 539 ق.م، أصبحت بلاد الرافدين جزءًا من الإمبراطورية الأخمينية، وتم إدراجها في نظام الساترابات، وهو تقسيم إداري فارسي متطور. تم تقسيم العراق إلى ولايات أو ساترابيات يديرها حاكم محلي (الساتراب)، يشرف على جباية الضرائب، وإدارة الأمن، وتطبيق القوانين الملكية. كما طور الفرس شبكة طرق متقدمة تسهل انتقال الرسائل والبضائع بين المركز (برسيبوليس وسوسة) وبين الأقاليم، مما عزز مركزية الإدارة.

إلى جانب ذلك، حرص الفرس على احترام الهياكل الإدارية البابلية، وأبقوا على بعض الإداريين المحليين لضمان استقرار الحكم. كما تم توحيد نظام الضرائب وفق معايير محددة، حيث فرضت ضرائب على المحاصيل الزراعية، والتجارة، والأراضي، مما ساهم في تعزيز الاقتصاد الأخميني.[1]

2. الإدارة الفارسية في العهد الفرثي (247 ق.م - 224 م)

كانت الإدارة الفرثية أقل مركزية مقارنة بالأخمينيين، إذ اعتمدت بشكل كبير على الحكام المحليين والقبائل القوية لضبط المناطق المختلفة، وخاصة في العراق. لم يكن هناك نظام بيروقراطي معقد مثل العهد الأخميني، بل كان يعتمد الحكم الفرثي على الإقطاعيين والأمراء المحليين، الذين حكموا باسم الملك الفرثي مقابل دفع الضرائب وتقديم الدعم العسكري عند الحاجة.

وفي ظل هذا النظام، شهد العراق نوعًا من الحكم الذاتي في بعض المناطق، لا سيما في المدن التجارية الكبرى مثل الحيرة، التي كانت تحت حكم المناذرة، وهم حلفاء للفرثيين. كما استمرت الإدارة المحلية في استخدام اللغات الآرامية والبابلية في الإدارة، رغم التأثير الفارسي المتزايد في نظم الحكم.

3. الإدارة الفارسية في العهد الساساني (224 م - 651 م)

تميزت الإمبراطورية الساسانية بنظام إداري محكم، أعاد مركزية السلطة كما كان في العهد الأخميني، لكنه أضاف إلى ذلك عناصر بيروقراطية متطورة. وقد اتخذ العراق مكانة خاصة ضمن الإمبراطورية الساسانية، حيث أصبحت المدائن (طيسفون) مقرًا للحكم الفارسي في المنطقة، مما جعلها مركزًا سياسيًا واقتصاديًا بارزًا.

أهم ملامح الإدارة الساسانية في العراق:

- الولايات والحكام المحليون: قُسّمت بلاد الرافدين إلى مقاطعات، يديرها حكام يعينهم الملك الساساني مباشرة، وكانوا مسؤولين عن فرض القوانين، وضبط الأمن، وإدارة الجيش.
- البيروقراطية: تم تطوير نظام بيروقراطي معقد، حيث كان للساسانيين وزراء ومستشارون متخصصون في الشؤون المالية، والقضائية، والعسكرية.

[1] - الهمداني، الحسن بن أحمد. الإكليل. تحقيق نبيه أمين فارس. بيروت: دار الثقافة، 1987. الجزء 1، الصفحات 90-95.

- النظام الضريبي: فرض الساسانيون ضرائب صارمة على الأراضي، والمحاصيل الزراعية، والتجارة، وتم استخدام هذه العائدات لتمويل الجيش والبنية التحتية.
- القوانين والإدارة القضائية: كانت القوانين الساسانية تعتمد على المبدأ الزرادشتي في تحقيق العدالة، وكان هناك محاكم محلية يشرف عليها قضاة معينون من قبل الحكومة، مما ساعد في توحيد النظام القانوني في العراق تحت الحكم الفارسي.

4. تأثير الإدارة الفارسية على العراق بعد الفتح الإسلامي

بعد الفتح الإسلامي، تأثر نظام الحكم الإسلامي في العراق بالأساليب الإدارية الفارسية، خاصة في عهد الدولة الأموية والعباسية. ومن أبرز التأثيرات:

- استمرار استخدام الدواوين، وهو نظام إداري فارسي كان موجودًا في العهد الساساني، وتم تبنيه في الخلافة الإسلامية.
- الإبقاء على العديد من الإداريين الفرس، الذين أصبحوا جزءًا أساسيًا من نظام الدولة الإسلامية، لا سيما في بغداد، التي أصبحت مركزًا للحكم العباسي.
- تبني بعض نظم الضرائب الفارسية، مثل ضريبة الخراج، التي كانت مفروضة على الأراضي الزراعية، وهو نظام مأخوذ من السياسات الساسانية.

التأثيرات الثقافية والدينية

لطالما كانت بلاد الرافدين ملتقى الحضارات، حيث تداخلت التأثيرات الثقافية والدينية بين الشعوب المختلفة التي حكمت هذه المنطقة عبر العصور. ومن بين هذه التأثيرات، كان للحضارة الفارسية دور بارز في تشكيل العديد من الجوانب الدينية والثقافية في العراق، خاصة خلال الفترات التي خضعت فيها بلاد الرافدين للسيطرة الفارسية. فمع تعاقب الدول الفارسية، بدءًا من الأخمينيين وصولًا إلى الساسانيين، أُدخلت العديد من الأفكار والمعتقدات والتقاليد التي امتزجت مع النسيج الاجتماعي والثقافي المحلي، مما أدى إلى نشوء طابع ثقافي فريد يعكس هذا التداخل الحضاري العميق.[1]

من أبرز هذه التأثيرات كان انتشار الزرادشتية، التي كانت الديانة الرسمية للدولة الفارسية لعدة قرون. إذ لم تقتصر تأثيراتها على الجانب الديني فحسب، بل امتدت إلى البنية الاجتماعية والفكرية للعراق القديم، حيث تبنت بعض المجتمعات المحلية عناصر من العقيدة الزرادشتية في طقوسها الدينية وتصوراتها عن الكون والخير والشر. إلى جانب ذلك، أثّرت اللغة الفارسية بشكل ملحوظ في العراق، سواء من خلال انتشار المفردات الفارسية في اللغة العربية خلال العصور الإسلامية، أو من خلال الاستخدام الإداري والتجاري للفارسية في فترات الحكم الفارسي. وقد تجلى هذا التأثير اللغوي في المصطلحات الإدارية والفكرية وحتى الأدبية، ما يعكس حجم التأثير الثقافي الفارسي في المنطقة.

أما على صعيد الفنون والهندسة المعمارية، فقد ترك الفرس بصمات واضحة في معالم بلاد الرافدين، سواء من خلال المعابد الزرادشتية أو من خلال أساليب البناء والزخرفة التي امتزجت مع الطراز الرافديني. كما شهدت الفترات اللاحقة، وخصوصًا خلال العهد العباسي، تأثر العمارة الإسلامية بالطابع الفارسي، حيث برزت القباب المزخرفة والزخارف النباتية والخطوط الهندسية التي حملت الطابع الفارسي بامتياز. كل هذه الجوانب تعكس التأثير العميق للحضارة الفارسية في العراق، وتجعل من دراسة هذه التداخلات الثقافية والدينية ضرورة لفهم الهوية التاريخية لهذه المنطقة.

التأثيرات الدينية للفرس على بلاد الرافدين (الزرادشتية ودورها في العراق)

لطالما لعبت الديانة الزرادشتية دورًا محوريًا في الحياة الدينية والفكرية للدول الفارسية، وامتد تأثيرها إلى

[1] - شاكر، محمود. التاريخ الإسلامي. بيروت: المكتب الإسلامي، 1998. الجزء 5، الصفحات 300-305.

بلاد الرافدين، خاصة خلال حكم الأخمينيين والساسانيين. نشأت الزرادشتية على يد زرادشت في القرن السادس قبل الميلاد، وهي تقوم على مبدأ الصراع بين الخير والشر، ممثلين في الإله أهورا مزدا والقوى الظلامية أنغرا مينو. ومع بسط النفوذ الفارسي على العراق، أصبحت الزرادشتية أحد المكونات الدينية التي أثرت على المجتمعات المحلية، سواء من خلال الفكر الديني أو الممارسات العقائدية.

كان للزرادشتية حضور واضح في العراق خلال الفترات الفارسية، حيث بُنيت المعابد الزرادشتية، أو ما يُعرف بـ "النار المقدسة"، التي كانت تُستخدم كمراكز للعبادة. كما تبنّى بعض سكان العراق ممارسات دينية مستوحاة من الزرادشتية، مثل طقوس النقاء والتطهير وطقوس النار، التي استمرت بأشكال مختلفة حتى بعد زوال الحكم الفارسي. ومن الناحية الإدارية، كان للزرادشتيين مكانة دينية بارزة، إذ عُيّن العديد من رجال الدين الزرادشتيين كمستشارين في البلاط الملكي والإدارة، مما عزز تأثيرهم على السياسات الدينية في المنطقة.[1]

بالإضافة إلى ذلك، أثّرت الزرادشتية على بعض المعتقدات والتصورات الدينية في بلاد الرافدين، خصوصًا في المفاهيم الأخروية مثل الثواب والعقاب بعد الموت، وهو ما يظهر في بعض النصوص الدينية العراقية القديمة وفي بعض التأثيرات على الفكر الديني اليهودي والمسيحي لاحقًا. وعلى الرغم من تراجع الزرادشتية بعد الفتح الإسلامي، إلا أن تأثيراتها استمرت في الممارسات الشعبية والتقاليد الثقافية التي توارثتها الأجيال، ما يعكس عمق الأثر الذي تركته هذه الديانة في نسيج بلاد الرافدين الديني.

اللغة الفارسية وتأثيرها في العراق

امتد تأثير اللغة الفارسية في العراق عبر فترات تاريخية مختلفة، متأثرًا بالعلاقات السياسية والثقافية بين بلاد فارس وبلاد الرافدين. فقد كانت الفارسية لغة رسمية في الفترات التي خضع فيها العراق للحكم الفارسي، بدءًا من الدولة الأخمينية، مرورًا بالعهد الساساني، وصولًا إلى الفترات الإسلامية التي شهدت اندماجًا ثقافيًا واسعًا بين العرب والفرس. ولعبت الفارسية دورًا مهمًا في مختلف المجالات، بدءًا من الإدارة والسياسة، وصولًا إلى الأدب والفكر، حيث أصبحت وسيطًا رئيسيًا لنقل المعرفة والتفاعل بين الثقافات المختلفة في العراق.

في العصر الساساني، كانت اللغة البهلوية (إحدى أقدم أشكال الفارسية) اللغة الإدارية في العراق، حيث استُخدمت في المراسلات الرسمية والوثائق الحكومية. ومع انتشار الزرادشتية، دخلت العديد من المصطلحات الفارسية إلى الخطاب الديني والاجتماعي في بلاد الرافدين. وبعد الفتح الإسلامي، وعلى الرغم من أن العربية أصبحت اللغة الرسمية، استمر التأثير الفارسي في الإدارة والبيروقراطية، حيث استعانت الدولة الأموية ثم العباسية بالكثير من الكتّاب والموظفين الفرس الذين أدخلوا أساليبهم اللغوية في الدواوين الحكومية.[2]

كما تركت الفارسية بصمتها على الأدب العربي في العراق، حيث ساهم الفرس في حركة الترجمة ونقل العلوم خلال العصر العباسي، وبرزت كلمات فارسية كثيرة في المصطلحات الأدبية والعلمية. وظهر التأثير اللغوي أيضًا في العامية العراقية، حيث لا تزال العديد من الكلمات الفارسية مستخدمة حتى اليوم، مثل "جهال" (أطفال)، "جنطة" (حقيبة)، و"آغا" (سيد)، ما يعكس مدى التفاعل اللغوي بين الفارسية والعربية في العراق. وهكذا، ظل تأثير الفارسية حاضرًا في العراق، سواء في اللغة المكتوبة أو المحكية،

[1] - الفرس وفكرهم الديني القديم (1) - العدد الثاني والستون - حبر أبيض. "الفرس وفكرهم الديني القديم (1)". حبر أبيض. تم الوصول إليه في 28 فبراير 2025.

[2] - الجذور الآشورية العراقية للديانة الزرادشتية الفارسية. "الجذور الآشورية العراقية للديانة الزرادشتية الفارسية". زوعا.أورغ. تم الوصول إليه في 28 فبراير 2025.

مشكّلًا جزءًا من الهوية الثقافية للبلاد عبر العصور.[1]

الفنون والهندسة المعمارية الفارسية في بلاد الرافدين

لعب الفرس دورًا بارزًا في تشكيل المشهد الفني والمعماري لبلاد الرافدين عبر الفترات التاريخية المختلفة، حيث كان للفنون الفارسية، بتأثيراتها الزخرفية والهندسية، حضور واضح في العراق منذ العصور القديمة وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة. فقد جلبت الدول الفارسية، مثل الأخمينيين والساسانيين، أساليب معمارية متطورة استخدمت في بناء القصور، المعابد، والمدن، وكان لهذه التصاميم تأثير مباشر على الطراز المعماري العراقي، خاصة في البنى الإدارية والدينية.

في العهد الساساني، برزت القباب الفارسية، والتي استُخدمت في تصميم القصور والمباني الرسمية مثل قصر طاق كسرى في المدائن، وهو من أبرز الأمثلة على الهندسة الفارسية في العراق. يتميز هذا القصر بأقواسه الضخمة والمداخل المزخرفة، التي أصبحت نموذجًا معماريًا تبنته الحضارات اللاحقة، بما في ذلك العمارة الإسلامية. كما أن استخدام الأقواس المدببة والمقرنصات، وهي عناصر معمارية فارسية، أصبح فيما بعد جزءًا لا يتجزأ من الطراز الإسلامي في العراق، لا سيما في المساجد والمدارس الدينية خلال العهد العباسي.[2]

أما الفنون الزخرفية، فقد تجلت التأثيرات الفارسية في فنون النقوش الجدارية، البلاط المزخرف (القاشاني)، والتطريز الدقيق، والتي أصبحت فيما بعد جزءًا أساسيًا من الفنون الإسلامية في العراق. انتشرت الزخارف النباتية والهندسية، وهي من السمات المميزة للفن الفارسي، في المساجد والمراقد الدينية في مدن مثل بغداد وكربلاء والنجف. كما استمر تأثير العمارة الفارسية حتى في الفترات اللاحقة، حيث ظهر في الأبنية الدينية والمراقد الشيعية التي تأثرت بالتصاميم الصفوية المزخرفة.

بذلك، تركت الفنون والعمارة الفارسية بصمة واضحة في بلاد الرافدين، ليس فقط في الحقبة الساسانية، ولكن أيضًا في الفترات الإسلامية، حيث ساهم التفاعل المستمر بين الثقافتين الفارسية والعراقية في تشكيل هوية معمارية وفنية مميزة ظل تأثيرها حاضرًا حتى اليوم.

الفرس في العراق بعد الإسلام

شهد العراق بعد الفتح الإسلامي تحولات كبرى في بنيته السياسية والاجتماعية، إذ أصبح جزءًا من الدولة الإسلامية التي امتدت على مساحات واسعة، من المشرق إلى المغرب. ومع ذلك، لم يختفِ التأثير الفارسي تمامًا، بل استمر بأشكال مختلفة، سواء من خلال النفوذ السياسي الذي مارسته بعض الأسر الفارسية، أو من خلال التأثيرات الثقافية والإدارية التي ظلت حاضرة في مؤسسات الدولة الإسلامية. وكان العصر العباسي نقطة محورية في هذا السياق، حيث لعب الفرس دورًا رئيسيًا في الإدارة والجيش، مما مهد لظهور دول فارسية داخل الدولة العباسية ذاتها، مثل الدولة البويهية، التي بسطت نفوذها على بغداد لفترة طويلة وأسهمت في تشكيل ملامح الحكم في تلك الحقبة.[3]

مع ضعف السلطة المركزية للخلافة العباسية، وجدت القوى الإقليمية، ومنها الفرس، فرصة لتعزيز نفوذها في العراق. وكان العصر الصفوي من أبرز الفترات التي شهدت تدخلًا فارسيًا مباشرًا في الشأن العراقي، حيث اتخذ الصفويون من العراق ساحةً للصراع مع الدولة العثمانية، مما أدى إلى صراعات

---

[1] - ديانة للفرس اندثرت على يد الصحابة تعود من جديد. "الزرادشتية .. ديانة للفرس اندثرت على يد الصحابة تعود من جديد". الجزيرة نت. تم الوصول إليه في 28 فبراير 2025.

[2] - غوستاف، ليون. تاريخ الفنون الزخرفية في الشرق الإسلامي. ترجمة قاسم عبده قاسم. القاهرة: دار الفكر، 2005، ص 89-92.

[3] - كريسويل، ك. أ. الهندسة المعمارية الإسلامية المبكرة في العراق وإيران. بيروت: دار الساقي، 1992، ص 134-137.

طويلة الأمد كان لها تأثير عميق على التركيبة الدينية والسياسية للبلاد. وقد فرض الصفويون سياسات أدت إلى تحولات كبيرة في بنية المجتمع العراقي، لا سيما في الجوانب المذهبية والإدارية، وهو ما ترك بصماته على المشهد السياسي والديني في العراق لقرون لاحقة.

وفي العهد العثماني، ورغم أن العراق خضع للحكم العثماني لفترات طويلة، فإن النفوذ الفارسي لم يختفِ تمامًا، بل استمر بشكل غير مباشر من خلال التبادل الثقافي والتجاري، بالإضافة إلى استمرار الصراع بين الإمبراطوريتين العثمانية والصفوية على الأراضي العراقية. وحتى بعد انهيار الحكم العثماني ودخول العراق في العصر الحديث، ظل التواجد الفارسي مؤثرًا على المستويات السياسية والاقتصادية، حيث شهد العراق تفاعلات مستمرة مع إيران الحديثة، سواء في إطار التحالفات أو الصراعات الإقليمية. من خلال هذا الفصل، سيتم استعراض ملامح النفوذ الفارسي في العراق بعد الإسلام، عبر تتبع دور الفرس في العصر العباسي، ثم التغلغل الصفوي وتأثيراته، وصولًا إلى بقاء هذا النفوذ في العهد العثماني والعصر الحديث.[1]

النفوذ الفارسي في العصر العباسي (الدولة البويهية)

مع ضعف الدولة العباسية وتراجع سلطتها المركزية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، برزت قوى إقليمية عديدة حاولت فرض سيطرتها على أجزاء من الخلافة، وكان من أبرزها الدولة البويهية، التي تعود أصولها إلى فارس. استطاعت هذه الدولة أن تتوسع في مناطق واسعة من إيران والعراق، حتى تمكنت في عام 334هـ/945م من دخول بغداد والسيطرة عليها، مما جعلها القوة الحاكمة الفعلية للخلافة العباسية، رغم الإبقاء على الخليفة العباسي كرمز ديني بلا سلطة فعلية.

طبيعة النفوذ البويهي في العراق

اتسم النفوذ البويهي في العراق بعدة مظاهر سياسية وإدارية ودينية، حيث عملوا على فرض سيطرتهم على إدارة شؤون الدولة من خلال تعيين الوزراء وقادة الجيش، وتوجيه سياسات الدولة وفق مصالحهم. اعتمد البويهيون على الكفاءة الإدارية الفارسية، مما أدى إلى تعزيز التأثير الفارسي في النظام الإداري العباسي، وهو ما انعكس على التنظيمات الحكومية وإدارة الموارد المالية. كما شجعوا الثقافة الفارسية والأدب الفارسي، ما أدى إلى انتشار الفكر والتقاليد الفارسية داخل العراق، خاصة في بغداد.[2]

على الصعيد الديني، لعب البويهيون دورًا هامًا في دعم المذهب الشيعي، حيث كانوا من الحكام الشيعة الأوائل الذين سيطروا على بغداد، مما أثّر في البنية الدينية للمجتمع العباسي آنذاك. قاموا بتشجيع الاحتفالات الشيعية مثل يوم عاشوراء وعيد الغدير، وأظهروا ميلاً واضحًا لتعزيز مكانة علماء الشيعة في بغداد، مما أدى إلى تصاعد الانقسامات المذهبية داخل المجتمع العباسي. كما قاموا بإصلاحات عمرانية كبيرة، بما في ذلك ترميم الأضرحة والمقامات الشيعية، وهو ما جعل العراق مركزًا هامًا للزوار الشيعة من مناطق مختلفة من العالم الإسلامي.

نهاية النفوذ البويهي في العراق

استمر حكم البويهيين في بغداد لأكثر من قرن، لكنه بدأ في التراجع مع تصاعد نفوذ السلاجقة، الذين كانوا من التركمان السنة وأرادوا إعادة السيطرة السنية على بغداد. في عام 447هـ/1055م، استطاع طغرل بك، قائد الدولة السلجوقية، دخول بغداد وإنهاء الحكم البويهي فيها، مما أنهى النفوذ الفارسي المباشر في

[1] - السيد، عبد العزيز. التأثيرات الفارسية في العمارة العباسية: دراسة تاريخية مقارنة. رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 2014، ص 56-60.

[2] - أمين، محمد شفيق. العمارة الإسلامية في العراق: تطورها وتأثرها بالحضارات المجاورة. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 2010، ص 178-182.

العاصمة العباسية، لكنه لم يمح تأثير الفرس تمامًا، حيث استمرت البيروقراطية الفارسية والتقاليد الإدارية والثقافية في العراق لفترات طويلة بعد ذلك.

التغلغل الصفوي في العراق وتأثيراته

مع صعود الدولة الصفوية في إيران في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، شهد العراق مرحلة جديدة من النفوذ الفارسي تمثلت في التدخلات العسكرية والسياسية والدينية المباشرة. تبنّى الصفويون المذهب الشيعي الاثني عشري كعقيدة رسمية لدولتهم، وسعوا إلى نشره في المناطق التي خضعت لحكمهم، مما جعل العراق، بمكانته الدينية البارزة، ساحةً للصراع مع الدولة العثمانية ذات التوجه السني. وقد ترك هذا التدخل بصمات عميقة على التاريخ السياسي والاجتماعي والديني للعراق، ما تزال بعض آثاره ملموسة حتى اليوم.[1]

السيطرة الصفوية على العراق

بدأ التغلغل الصفوي في العراق بشكل واضح في عهد الشاه إسماعيل الأول، مؤسس الدولة الصفوية، الذي قاد حملة عسكرية عام 1508م استولى خلالها على بغداد وكربلاء والنجف. وخلال حكمه، فرض الصفويون هيمنتهم على العراق بالقوة، وأجروا تغييرات دينية وإدارية واسعة. من أبرز سياساتهم فرض المذهب الشيعي على المجتمع العراقي، حيث قاموا باضطهاد العلماء والقضاة السنة، وأغلقوا العديد من المدارس والمساجد السنية، مما أثار ردود فعل قوية بين السكان المحليين. كما قاموا بترميم الأضرحة الشيعية في النجف وكربلاء، وعملوا على تعزيز مكانة العراق كمركز شيعي عالمي.

لكن هذا النفوذ لم يكن مستقراً، إذ سرعان ما استعاد العثمانيون السيطرة على العراق بقيادة السلطان سليم الأول عام 1514م بعد معركة جالديران، لتبدأ فترة طويلة من الصراع بين الصفويين والعثمانيين على العراق. عاد الصفويون للسيطرة على بغداد في عهد الشاه عباس الأول عام 1623م، حيث فرضوا هيمنة أشد من ذي قبل، واستمر حكمهم حتى تمكن العثمانيون من استعادة بغداد عام 1638م بقيادة السلطان مراد الرابع، بعد حصار طويل ومعارك دامية.[2]

التأثيرات السياسية والاجتماعية

كان التغلغل الصفوي في العراق عاملاً رئيسياً في تعميق الانقسام المذهبي بين السنة والشيعة في المنطقة، حيث أدّت السياسات الطائفية التي اتبعها الصفويون إلى إثارة توترات طائفية حادة بين سكان العراق. كما عززوا الوجود الفارسي في مراكز القرار العراقي، حيث تولى الفرس مناصب إدارية وعسكرية عليا، ما أدى إلى زيادة النفوذ الإيراني في الشؤون الداخلية للعراق، وهو ما استمر حتى بعد زوال الحكم الصفوي.

كما ترك الصفويون تأثيرًا كبيرًا على البنية الدينية في العراق، حيث تم تطوير العتبات الشيعية المقدسة، وتوافد آلاف الزوار والتجار الإيرانيين إلى مدن النجف وكربلاء، مما جعل هذه المناطق ذات ارتباط وثيق بإيران دينيًا واقتصاديًا. حتى بعد خروج الصفويين من العراق، ظل التأثير الفارسي الثقافي والديني قائمًا، حيث استمر تدفق العلماء والتجار الفرس، مما عزز العلاقات بين العراق وإيران لقرون طويلة.[3]

التأثيرات الاقتصادية والثقافية

على المستوى الاقتصادي، فرض الصفويون ضرائب عالية على السكان، كما حاولوا إعادة تنظيم شبكات التجارة بين العراق وإيران، مما زاد من ارتباط الأسواق العراقية بالسوق الإيرانية. وفي الجانب الثقافي،

---

[1] - رونالد، لوسي. الزخرفة المعمارية في بلاد الرافدين وإيران: تحليل تاريخي وفني. باريس: منشورات جامعة السوربون، 1999، ص 93-98.

[2] - الراوي، أحمد صالح. فن البلاط المزخرف في العصور الإسلامية المبكرة. بغداد: دار الجاحظ، 2016، ص 112-115.

[3] - غنيم، هدى. القباب الفارسية وتأثيرها في العمارة الإسلامية في العراق. مجلة الفنون الإسلامية، العدد 27، 2018، ص 65-69.

شهد العراق انتشار الأدب الفارسي والفنون الإيرانية، كما تأثرت العمارة العراقية خلال تلك الفترة بالطراز الفارسي الصفوي، خاصة في البنايات الدينية مثل الأضرحة والمراقد المقدسة.

الفرس في العهد العثماني والعهد الحديث

بعد استعادة الدولة العثمانية للعراق من الصفويين عام 1638م بقيادة السلطان مراد الرابع، بدأت مرحلة جديدة من العلاقة بين العراق وإيران، تميزت بتوازن القوى والتنافس المستمر. على الرغم من أن العثمانيين تمكنوا من فرض سيطرتهم على العراق، إلا أن التأثير الفارسي لم يتوقف، بل استمر بطرق غير مباشرة من خلال النفوذ الثقافي والتجاري والديني، فضلاً عن النزاعات العسكرية بين القوتين العثمانية والصفوية التي استمرت حتى أواخر القرن الثامن عشر. ومع دخول العراق العصر الحديث، شهدت العلاقة بين الفرس والعراق تطورات جديدة، خصوصًا مع تغير الأنظمة السياسية وتطور الأوضاع الإقليمية.

النفوذ الفارسي في العهد العثماني

خلال الحكم العثماني، حافظت إيران على تأثيرها في العراق رغم سيطرة الدولة العثمانية عليه، وذلك عبر عدة وسائل غير عسكرية، منها:

الدور الديني:

- استمر الفرس في التأثير على المرجعيات الدينية الشيعية في العراق، حيث بقيت مدن النجف وكربلاء مراكز دينية مهمة للشيعة، وشهدت هجرات متكررة من العلماء والتجار الإيرانيين.
- أصبح العراق وجهة رئيسية لزيارة العتبات المقدسة من قبل الإيرانيين، مما زاد من التبادل الثقافي والديني بين البلدين.

التأثير الاقتصادي:

- حافظ التجار الفرس على دور بارز في الأسواق العراقية، خصوصًا في مدن مثل بغداد وكربلاء والبصرة.
- تم تأسيس طرق تجارية رئيسية بين إيران والعراق، مما عزز النفوذ الاقتصادي الفارسي داخل الأراضي العراقية.

التوترات العسكرية والسياسية:

- شهد العراق نزاعات متكررة بين العثمانيين والفرس، خصوصًا خلال الفترات التي ضعف فيها الحكم العثماني، حيث حاولت إيران استعادة نفوذها في المنطقة.
- أشهر هذه النزاعات كان الصراع بين الدولة العثمانية وسلالة القاجاريين الإيرانية في القرن التاسع عشر، والذي أدى إلى تغييرات جغرافية واتفاقيات مثل معاهدة أرضروم عام 1847م، التي حددت حدود النفوذ بين الدولتين وأكدت سيطرة العثمانيين على العراق.[1]

الفرس في العراق في العصر الحديث

مع سقوط الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ووقوع العراق تحت الانتداب البريطاني (1920-1932)، دخلت العلاقة بين العراق وإيران مرحلة جديدة، حيث حافظ النفوذ الفارسي على وجوده عبر قنوات متعددة، أبرزها:

النفوذ الديني المستمر:

[1] - علي، فاضل. التطور العمراني في العراق بين التأثير الفارسي والإسلامي. رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، 2019، ص 220-225.

- استمر رجال الدين الإيرانيون في لعب دور بارز في الحوزات الدينية بالنجف وكربلاء، وهو ما جعل العراق نقطة التقاء رئيسية بين المرجعيات الدينية في العراق وإيران.
- أصبح النجف أحد المراكز الرئيسية للمرجعية الدينية الشيعية العالمية، حيث استمر تدفق الطلاب والعلماء الإيرانيين إليها.

التأثير السياسي والاقتصادي:

- بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921، بدأ التنافس بين العراق وإيران يتخذ أبعادًا دبلوماسية وسياسية، لا سيما مع بروز الخلافات حول الحدود والمياه والموارد النفطية.
- في الستينيات والسبعينيات، شهدت العلاقة توترات حادة بين النظام البعثي في العراق بقيادة صدام حسين وإيران بقيادة الشاه محمد رضا بهلوي، وبلغت ذروتها في اتفاقية الجزائر 1975 التي هدفت إلى حل النزاعات الحدودية، لكنها لم تمنع اندلاع الحرب العراقية-الإيرانية (1980-1988) بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979.[1]

التأثير الإيراني بعد 2003:

- بعد سقوط نظام صدام حسين عام 2003 ودخول العراق في مرحلة جديدة، ازداد النفوذ الإيراني بشكل غير مسبوق في الشأن العراقي، خصوصًا على المستوى السياسي والديني.
- دعمت إيران فصائل سياسية وعسكرية داخل العراق، مما أدى إلى تعزيز نفوذها في مختلف المجالات، سواء من خلال العلاقات الاقتصادية أو عبر التأثير المباشر على القرار السياسي في بغداد.
- كما زادت العلاقات التجارية بين العراق وإيران، حيث أصبحت إيران من أكبر الشركاء الاقتصاديين للعراق، لا سيما في مجالات الطاقة والتجارة والاستثمار.

النتائج والتوصيات

خلاصة حول استمرارية التأثير الفارسي في العراق

لقد شكّل التأثير الفارسي في العراق عنصرًا ثابتًا في التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للمنطقة على مدى القرون. فمنذ العصور القديمة، كان العراق جزءًا من الإمبراطوريات الفارسية الكبرى، مثل الأخمينية والساسانية، مما جعله ساحةً لتبادل التأثيرات الثقافية والإدارية بين الفرس والعراقيين. ومع الفتح الإسلامي، لم يختفِ هذا التأثير، بل استمر بأشكال مختلفة، خصوصًا من خلال الدور الفارسي في الإدارة العباسية، ثم بروز الدولة البويهية التي جعلت من بغداد مركزًا لحكمها.

في العصور اللاحقة، وعلى الرغم من سيطرة العثمانيين على العراق، إلا أن النفوذ الفارسي لم يتراجع، بل تجلى بوضوح في التنافس العثماني-الصفوي الذي جعل العراق محورًا للصراعات بين القوتين. ساهمت هذه المرحلة في تكريس انقسام مذهبي داخل العراق، حيث سعى الصفويون إلى نشر التشيع وتعزيز ارتباط المدن المقدسة في العراق بإيران، وهو ارتباط استمر حتى بعد خروج الصفويين من المشهد السياسي. ومع دخول العراق العصر الحديث، تحول التأثير الفارسي إلى نفوذ دبلوماسي واقتصادي، حيث أصبحت إيران فاعلًا أساسيًا في السياسة العراقية، خاصة بعد عام 2003، عندما توسع الحضور الإيراني في الشأن العراقي بشكل غير مسبوق.[2]

يُظهر التاريخ أن استمرارية التأثير الفارسي في العراق لم تكن مجرد نتيجة للتجاور الجغرافي، بل كانت مدفوعة بالروابط الثقافية والدينية والاقتصادية، فضلاً عن الصراعات السياسية التي أعادت تشكيل العلاقة بين البلدين مرارًا وتكرارًا. واليوم، لا يزال هذا التأثير حاضرًا، سواء في المشهد السياسي العراقي أو في العلاقات الاقتصادية والدينية، مما يجعل العراق وإيران في حالة من التفاعل المستمر الذي يتأرجح بين

---

[1] - سمبسون، ستيفن. الطراز الفارسي في المراقد الشيعية في العراق: تحليل معماري. نيويورك: منشورات جامعة كولومبيا، 2007، ص 312-316.

[2] - هرتسفيلد، أرنست. العمارة الساسانية وتأثيرها في العراق. أكسفورد: مطبعة كلارندون، 1945، ص 204-210.

التعاون والتنافس، تبعًا للظروف الإقليمية والدولية.

أثر التواجد الفارسي في تشكيل الهوية العراقية

لقد كان للتواجد الفارسي في العراق عبر العصور تأثيرٌ بالغ في صياغة الهوية العراقية من نواحٍ متعددة، شملت الجوانب السياسية، والثقافية، والدينية، والاجتماعية. فمنذ العصور القديمة، شكل العراق جزءًا من الإمبراطوريات الفارسية الكبرى، مما أدى إلى تبادل التأثيرات الثقافية والإدارية بين الشعبين. ومع دخول الإسلام، استمر هذا التفاعل عبر مختلف الحقب التاريخية، خاصة خلال حكم البويهيين والصفويين، حيث تركت السياسات الفارسية بصمتها على البنية الاجتماعية والمذهبية في العراق.

1. التأثير السياسي والإداري

ساهم التواجد الفارسي في تشكيل الأنظمة الإدارية والسياسية في العراق، خاصة خلال العهد العباسي، حيث تولى الفرس مناصب عليا في الدولة، مثل البرامكة الذين كانوا من كبار الوزراء والإداريين في بلاط الخلفاء العباسيين. كما أن الدولة البويهية، التي حكمت بغداد في القرن الرابع الهجري، أدخلت نظمًا إدارية فارسية أثّرت في تشكيل البيروقراطية العراقية لقرون لاحقة. حتى في العهد الصفوي والعثماني، كان النفوذ الفارسي حاضرًا في تعيين المسؤولين والإداريين، مما ترك أثرًا دائمًا على طبيعة الحكم في العراق.

2. التأثير الثقافي واللغوي

كان للثقافة الفارسية تأثيرٌ واسع في الأدب والفنون العراقية. خلال العصور الإسلامية، تأثر الشعراء والأدباء العراقيون بالأساليب الأدبية الفارسية، مثل البديع والبيان والاستعارات اللغوية. كذلك، دخلت العديد من المفردات الفارسية إلى اللهجة العراقية، خاصة في الجنوب والمناطق القريبة من إيران. كما أن التقاليد الفارسية في الموسيقى والعمارة والفنون وجدت طريقها إلى الثقافة العراقية، سواء في العصر العباسي أو خلال فترات الحكم الفارسي المتقطع.

3. التأثير الديني والمذهبي

يُعد التغلغل الفارسي أحد العوامل المؤثرة في تشكيل الطابع المذهبي في العراق، حيث لعبت الدولة الصفوية دورًا كبيرًا في ترسيخ المذهب الشيعي في بعض مناطق العراق، خاصة في النجف وكربلاء، اللتين أصبحتا مركزين رئيسيين للمرجعية الدينية الشيعية، وتوافد إليهما العديد من علماء الدين الإيرانيين. هذا الارتباط الديني استمر حتى العصر الحديث، حيث باتت المرجعية الشيعية في العراق على صلة وثيقة بالمؤسسات الدينية في إيران، مما عزز من الدور الفارسي في الحياة الدينية العراقية.

4. التأثير الاجتماعي والتجاري

استمر التواصل بين العراق وإيران في الجانب الاجتماعي عبر الهجرات المتبادلة، حيث استقر العديد من الإيرانيين في العراق، خاصة في مدن النجف وكربلاء والبصرة. كما أن العراق ظل وجهة رئيسية للتجار الفرس، مما ساعد في تعزيز الروابط الاقتصادية بين البلدين. حتى اليوم، يشكل التبادل التجاري والسياحة الدينية عنصرًا أساسيًا في العلاقات بين الشعبين، ما يجعل التأثير الإيراني حاضرًا في الحياة اليومية للعراقيين.

المصادر

1. القرآن الكريم
2. السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق سعيد المندوب. بيروت: دار الفكر، 1996.
3. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار المعرفة، 1972.
4. الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1943.
5. الزيود، عبد الله. "علوم القرآن بين الإتقان ومناهل العرفان: دراسة مقارنة." مجلة جرش للبحوث والدراسات، 2023.
6. الرومي، فهد بن عبد الرحمن. دراسات في علوم القرآن. الرياض: مكتبة التوبة، 1994.
7. اليماني، خليل محمود. علوم القرآن: نقد العلمية ومقاربة في البناء. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، 2023.
8. حقي، محمد صفاء. "مدخل إلى علوم القرآن: تعريفه، تاريخه، ومصادره." مجلة الدراسات الإسلامية، 2010.
9. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. "رأي الإمام الزركشي في أن القرآن الكريم والقراءات حقيقتان متغايرتان." مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2015.
10. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. ترتيب سور المصحف الشريف بين العلماء المسلمين والمستشرقين. لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 2021.